

النراث العربى

سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء

فى الكويت

- ١٦ -

ثاج العروس

من جواهر القاموس

للسيد محمد مرفى الحسينى الزبىدى

الجزء الاول

تحقيق

عبد الشار عذرى

راجته لجنة فنية من وزارة الارشاد والأنباء

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

مطبعة حكومة الكويت

تمهيد

اللغة مرآة الأمة التي تعكس تجربتها في هذه الحياة ، فهي الأداة التي يعبر بها الفرد عن أحاسيسه ومشاعره وعواطفه وحاجاته ، وأية خدمة تؤدي إليها إنما هي مقدمة إلى الأمة بأسرها .

واللغة في أشد الحاجة إلى من يتعهدا ، ، ويوالي البحث في فروعها ، إذ من دون ذلك لا يمكنها أن تنمو أو تقوى بحيث تستطيع مقاومة صروف الدهر ومواجهة تطور الحياة الانسانية .

وقد أجمع المختصون بدراسة اللغات على أن اللغة العربية تتمتع بعدة صفات تؤهلها للبقاء والاستمرار في أداء مهمتها ، فهي تمتاز بالغنى والقوة والمرونة ، وهي قابلة لتطور الحياة ، ولقد قاومت من صروف الدهر وخصومة الأعداء ما لم تقاومه أية لغة ، مما يدل على أن اللغة العربية تتمتع بحياة عظيمة .

وتعهد اللغة يسلك طرقا عديدة ، قد لا تسمح هذه العجالة بتفصيلها ، منها ما يتصل بإحياء القديم من ذخائر اللغة ، وهذه من اهم الوسائل التي تسهم في حفظ اللغة ، وتذلل كثيراً من العقبات أمام العلماء والباحثين .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة أخذت وزارة الارشاد والانباء في دولة الكويت على عاتقها إحياء التراث العربي ، فنشرت عدداً من الكتب العربية المخطوطة ، وهاهي ذي الآن تقوم باخراج كتاب تاج العروس بصورة تتلاءم مع عظمة هذا الكتاب ومكانته ، وهي لا تبتغي من وراء ذلك إلا خدمة لغة القرآن .

والله من وراء القصد .

لجنة التراث العربي

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم وتعریف

كتبه : عبد الستار احمد فراج

رئيس التحرير بالمجمع اللغوي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين .

ان الله لا يضيع اجر المحسنين

وبعد

فإن تاج العروس الذي تنشره وزارة الإرشاد والأنباء ببلولة الكويت ، من أعظم كتب التراث العربي ، وأهمها شأنًا ، وأبقاها أثرا محمودا . وإن صاحبه الزبيدي قد أخلص فيه كل الإخلاص ، واجتهد كل الاجتهاد ، وأحسن غاية الإحسان .

وتقتضى الإبانة عن قيمة تاج العروس أن أذكر بعض المعاجم السابقة ، التي كان القاموس نتاجها ، ثم جاء تاج العروس شرحا له وافيا

...

القاموس وأصوله

يقول مجد الدين محمد بن يعقوب المشهور بالفيروزبادي المتوفى بزييد سنة ٨١٦ أو سنة ٨١٧ هجرية عن كتابه القاموس :

« وضمت خلاصة ما في العباب والمحكم ، وأضفت إليه زيادات من الله بها على وأنعم ، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدماء الغططم ، وأسببته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم . ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة ، أو بترك المعاني الغريبة النادرة ... »

هذا ما نص عليه الفيروزبادي من الكتب . وأعرف بها على ترتيبها الزمني .

الصباح

مؤلفه إسماعيل بن حماد الجوهري (١)، من علماء القرن الرابع، توفي بنيسابور في حدود سنة ٤٠٠ هـ، على اختلاف في التعيين، ولم يذكر لنا المراجع التي بنى عليها كتابه، وكل ما قاله في مقدمته :

« بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العزب العازبة، في ديارهم بالبادية »

...

المحكم

مؤلفه على بن إسماعيل، المشهور بابن سيده، المولود حوالي سنة ٣٩٨ هجرية في مدينة مرسية من أعمال تدمير المتصلة بإقليم جيان شرقي قرطبة، والمتوفى بدانية سنة ٤٥٨ هـ، وقيل : توفي سنة ٤٤٨ هـ، وقد نص ابن سيده في مقدمته للمحكم على الكتب التي رجع إليها فقال :

« وأما ما ضمنناه كتابنا هذا من كتب اللغة : فمصنف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجمهرة، وتفسير القرآن، وشروح الحديث، والكتاب الموسوم بالعين ما صح لدينا منه وأخذناه بالوثيقة عنه، وكتب الأصمعي، والفراء، وأبي زيد، وابن الأعرابي، وأبي عبيدة، والسياني، واللحياني. ما سقط إلينا من جميع ذلك، وكتب أبي العباس أحمد بن يحيى : المجالس، والفصيح، والنوادر، وكتابا أبي حنيفة، وكتب كراع، إلى غير ذلك من المختصرات كالزبرج، والمكنى، والمبني، والمثنى، والأضداد، والمبدل، والمقلوب، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيويه من اللغة المعللة العجيبة، الملتحصة الغريبة، المؤثرة لفضلها، والمستتراد لمثلها، وهو حلتى كتابي هذا وزينته، وجماله وعيته، مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فأت كتاب سيويه معللة، عربية كانت أو دخيلة.

وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين، المتضمنة لتعليل اللغة، فكتب أبي علي الفارسي : الحكييات والبغداديات والأهوازيات والتذكرة والحجة والأغفال والإيضاح وكتاب الشعر. وكتب أبي الحسن بن الرماني كالجامع والأغراض، وكتب أبي الفتح عثمان بن جني كالمغرب والتمام، وشرحه لشعر المتنبي والخصائص وسر الصناعة والتعاقب والمحتسب. إلى أشياء اقتضبتها من الأشعار الفصيحة، والخطب الغريبة الصحيحة.

العباب

مؤلفه رضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العمرى الصغاني (أو الصاغاني) المتوفى ببغداد سنة ٦٥٠ هجرية عن ثلاث وسبعين عاما.

وقد نص في مقدمة كتابه على مصادره فقال في صفحة ٢ من المخطوط : « مستشهدا على صحة ذلك بآيات

(١) جاء مرة في مقدمة تاج العروس باسم أبي نصر إسماعيل بن حماد. ومرة باسم أبي نصر إسماعيل بن نصر بن حماد. أما في الصباح فجاء باسم أبي نصر إسماعيل بن حماد.

من الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبغرائب أحاديث مَنْ هو بمَعَزَل من خَطَل القول وخلفه، فكلامه هو الحُجَّة القاطعة، والبيِّنة الساطعة، وبغرائب أحاديث صحابته الأخيار وتابعيهم الأحرار، وبكلام من له ذِكْر في حديث أو قصة في خبر وهو عويص، وبالفصيح من الأشعار، والسائر من الأمثال، ذاكرًا أسامي خيل العرب وسيوفها، وبقاعها وأصقاعها، وبرقها وداراتها، وفرسانها وشعرائها، آتياً بالأشعار على الصحة، غير مُختلَّة ولا مُغيَّرة ولا مُداخلة، مَعَزُواً ما عَزَوَتْ منها إلى قائله، غير مُقلَّد أحدًا من أرباب التصانيف، وأصحاب التأليف، لكن مراجعاً دواوينهم، مُعْتَمِماً أصح الروايات، مُختاراً أقوال المُتقنين الثقات، وموجب ما ذكرت أني رأيت فيما جَمَعَ مَنْ قَبْلِي أطلقوا في أغلب ما أوردوا، وقالوا في الحديث غير مُبَيِّنِي النَّبَوِي من الصحابي، والصحابي من التابعي، وربما أطلقوا لفظ الحديث على المثل، ولفظ المثل على الحديث، وربما قالوا: «وقولهم». وهو من صحاح الأحاديث. وقد سَرَدْتُ الأحاديث الغريبة المعاني، المُشكلة الألفاظ تامَّةً مُستوفاةً، فإن كان في حديث عدَّة ألفاظ مُشكلة أتيت به تامَّةً، وفُسرَت كل لفظة منها في بابها وتركيبها، وذكرت أن تمام الحديث مذكور في تركيب كذا، ليعلم سياق الحديث، ويؤمن التكرار والإعادة.

وقال في صفحتي ٤، ٥ من المخطوط:

الفصل الثاني في أسامي كتب حوى هذا الكتاب اللغات المذكورة فيها، وهي: غريب الحديث لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي. ولأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي. ولأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الحاربي، ولأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. ولأبي سليمان حمَّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب بن طهْمَان بن عبد الرحمن بن أَتْبُوي هَزَارُ بَنْدَه الخَطَّابِي النيسابوري. والملخص في غريب الحديث لأبي الفتح عبد الواحد بن الحسن بن محمد بن إسحاق الباقر حَي. والفاثق لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري والغريب لأبي منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني. وجُمِلَ الغرائب لمحمود النيسابوري. والمُتَمَّق لأبي جعفر محمد بن حبيب، والمُتَمِّنَّم له، والمُحَبَّر له، والمُوشَّى له، والمُفَوَّف له، والمُوتَلِف والمُخْتَلَف له، وما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه له، وكتاب أيام العرب له، وكتاب الطير لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني. وكتاب النخل له. وكتاب الزُّبنة له. وكتاب المُفَسَّد من كلام العرب والمزال عن جهته له. وكتاب المُعَمَّرِينَ له. وجمهرة النسب لمحمد بن السائب الكلبي. وكتاب المعمرين له. وأخبار كندة له. وكتاب افتراق العرب له. وكتاب أسماء سيوف العرب المشهورة له. وكتاب اشتقاق أسماء البلدان له. وكتاب ألقاب الشعراء له. وكتاب الأصنام له. وكتاب أيام العرب لأبي عبيدة. والكتب المصنفة في أسامي خيل العرب. والكتب المصنفة في المذكر والمؤنث وفي المقصور والممدود وفي أسامي الأسد، وفي الأضداد، وفي أسامي الجبال والمواضع والبقاع والأصقاع ودارات العرب، والكتب المؤلفة في النبات والأشجار، وفيما جاء على فَعَالٍ مُبَيِّنًا، والكتب المؤلفة فيما اتفق لفظه وافترق معناه، وفي الآباء والأمهات والبنين والبنات، ومعاجم الشعراء لدِعْبِل والآمدى والمرزباني والمُقْتَبَس له، وكتاب الشعراء وأخبارهم له، وكتاب أشعار الجَحِين له، وكتاب التصغير لابن السكيت، وكتاب البحث له وكتاب الفَرَق له، وكتاب القلب والإبدال له، وكتاب إصلاح المنطق له، وكتاب الألفاظ له، وكتاب الوحوش للأصمعي، وكتاب الهمز له، وكتاب خلق الإنسان له، وكتاب الهمز لأبي زيد، وكتاب يافِيع وَيَقَعَة له، وكتاب خبَّاء له، وكتاب أَيَمَّان عِيَمَّان^(١) له، وكتاب بنابه ونسبه له، وكتاب النوادر للأخفش، ولابن الأعرابي.

(١) «عيما» بياء مشاة من تحت بعد العين. هذا وفي اللسان: ورجل عيمان وأيمان: ذهب إليه ومانت امرأته. قال ابن بري وحكى أبو زيد عن الطفيل بن يزيد: امرأة عِيَمِي أَيَمِي. وهذا يقتضي بأن المرأة التي مات زوجها ولا مال لها عِيَمِي أَيَمِي.

ولمحمد بن سلام الجُمحى ، ولأبى الحسن اللّحيانى ، ولأبى مسنَحَل ، وللفرّاء ، ولأبى زياد الكلابى ، ولأبى عبيدة ،
وللكسائى ، وكتاب المُكَنّى والمُبَنّى لأبى سَهْل الهروى ، والمثلث أربع مجلدات له ، والمُنَمَّق له ، وكتاب
معانى الشعر لأبى بكر بن السَّرّاج ، والمجموع لأبى عبد الله الحُوَارِزْمى ، وكتاب الآفِق لابن خالَوَيْه ، وكتاب
ليس له ، وكتاب اطْرَعَشْ وابْرَعَشْ له ، وكتاب النسب للزبير بن بَكَّار ، وكتاب المُعَمَّرين لابن
شُبّة ، والمُجَرَّد للهِنَانى ، واليواقيت لأبى عُمَرَ الزاهد ، والمُوشَح له ، والمُدَاخِلَات له ، وديوان الأدب
للفارابى ، وديوان الأدب وميدان العرب لأبى عَزِيز ، والتهذيب للعجلى ، والمحيط لابن عبّاد ، وكتاب
العين للخليل ، وحدثائق الآداب للأبهرى ، والبارع للمفضّل بن سَلَمَة ، والفاخر له ، وإخراج ما فى العين
من الغلط له ، والتهذيب للأزهرى ، والمُجَمَّل لابن فارس ، وكتاب الإِتباع والمزاوجة له ، وكتاب المدخل
إلى علم النحت له ، وكتاب المقاييس له ، وكتاب الموازنة له ، وكتاب عِلل الغريب المصنف له ، وكتاب
ذو وِذَاه (١) ، وكتاب الترقيص للأزدى ، وكتاب الجمهرة لابن دريد ، وكتاب الاشتقاق له ، وكتاب الزُّبُرِج
للفتح بن خاقان ، وكتاب الحروف لأبى عمرو الشيبانى ، وكتاب الجيم له ، وكتاب الزاهر لابن الأنبارى ،
والغريب المصنّف لأبى عبيد ، وكتاب التصحيف للعسكرى ، وكتاب الجبال لابن شُمَيْل ، وضالّة الأديب
لأبى محمد الأسود ، وقرحة الأديب له ، ونزّهة الأديب له ، وسَقَطَات ابن دُرَيْد فى الجمهرة لأبى عُمَرَ ،
وفائت الجمهرة له ، وجامع الأفعال .

...

تلك أصول القاموس الثلاثة ومنابعها مذكورة معها .
وقد حظى القاموس بالشرح والتعقيب عليه من كثير من العلماء ، وسيأتى فى مقدمة الزبيدى شىء من ذلك .
كما تعددت نسخه ، وأذكر بعضاً مما ورد فى شرح الزبيدى لخطبة مؤلف القاموس :

نسخة المؤلف التى بخطه

نسخة الملك الناصر صلاح الدين بن رسول سلطان اليمن بخط المحدث اللغوى أبى بكر بن يوسف بن عثمان
الحُمَيْدَى المغربى وعليها خط المؤلف ، إذ قرئت بين يديه فى مدينة زييد حماها الله تعالى وسائر بلاد الإسلام
قبل وفاته بستين .

نسخة نقيب الأشراف السيد محمد بن كمال الدين الحسينى الدمشقى

نسخة الشيخ أبى الحسن على بن غانم المقدسى

نسخة رضى الدين المزجاجى شيخ الزبيدى

نسخة أخرى بمينة

نسخة أخرى قديمة

نسخة بابرار

نسخة الشرف الأحمر

هذا عدا نسخ لمقدمة الفيروزبادى وهى :

نسخة ميرزا على الشيرازى

(١) عل لفظه ذاه كلمة وصح

نسخة قاضى كجرات عيسى بن عبدالرحيم

نسخة المحب ابن الشحنة

فلما جاء الزبيدى وشرح القاموس رجع إلى كثير من الكتب ، وكان من أهم مراجعه :

لسان العرب

ومؤلفه محمد بن مكرم المشهور بابن منظور ، المصرى ، والإفريقى . المتوفى بالقاهرة سنة ٧١١ هـ^(١) .
ونص ابن منظور في مقدمته على الكتب التى ألف منها كتابه ، وهى : المحكم لابن سيده ، والتهذيب للأزهري ، والصحاح للجوهري ، وأمالى ابن برّى على الصحاح ، والنهاية لأبى السعادات المبارك بن محمد المشهور بابن الأنسير .. ثم قال : فليعتدّ مَنْ ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة .
وإذ عرفنا أن صاحب اللسان نقل ما في التهذيب للأزهري ، وأن صاحب العباب عدّه أيضاً من مراجعه استدعى ذلك أن نُليّمَ بشئٍ عنه .

التهذيب

مؤلفه أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهري ، ولد سنة ٢٨٢ وتوفى في أواخر سنة ٣٧٠ هـ .
وكتابه التهذيب فيه ما هو بطريق السماع عن عرب عاش بينهم ، وما هو بطريق الرواية المسلسلة عن سبقوه من علماء اللغة : ما قالوه أو ما ألفوه ، منهم :
أبو عمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر ، والمفضل بن محمد الضبي ، وأبو زيد الأنصارى . وأبو عمرو الشيباني ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، واليزيدي ، والكسائي ، والفراء ، والأُمويّ ، والنضر بن شميل ، والأخفش ، وأبو مالك عمرو بن كركرة ، وعلي بن المبارك الأحمر ، وسيبويه ، وعبدالرحمن بن بزرج ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام ، وابن الأعرابي ، واللّحياني ، ونُصير الرازي ، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ، وأبو نصر صاحب الأصمعي ، والأثرم صاحب أبي عبيدة ، وابن نجدة صاحب أبي زيد الأنصارى ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن السكيت ، وأبو سعيد البغدادي الضرير ...

ثم عاد فذكر الليث بن المظفر وقال عنه : الذى نحلّ الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملةً لينْفِقَه باسمه .

ثم تعرّض لمؤلفين كالجاحظ وابن قتيبة في غير عصره . وانتهى معاصره ابن دريد صاحب الجهمرة في اللغة وصاحب الاشتقاق بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم ...

ثم قال :

ولو أنى أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري ، وقرأته من كتب غيري ، ووجدته في الصحف التى كتبها

(١) كتب أحمد فارس صاحب الجوائب في مقدمة لسان العرب المطبوع ببولاق أن مولد ابن منظور سنة ٦٩٠ ووفاته سنة ٧٧١ وهو خطأ محض . وموضوع صواباً على عنوان الجزء الأول عن بنية الوعاة . وكذلك في آخر الجزء الأول عن الدرر الكامنة وبنية الوعاة

الوراقون ، وأفسدها المصحفون ، لطال كتابي ، ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها . ولتقليل
لا يُخزى صاحبه خيراً من كثير يفضحه . ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صغ لي سماعاً منهم
أورواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتي ، اللهم إلا حروفاً وجدتها
لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما ، فبيّنت شكّي فيها ، وارتباني بها ، ووقفت فيها . وستراها في
مواقعها من الكتاب .

...

حواشي ابن بري أو اماليه

مؤلفها أبو محمد عبدالله بن أبي الوحش برّيّ بن عبد الجبار بن برّيّ ، ولد بمصر سنة ٤٩٩ وتوفي بها
سنة ٥٨٢ هـ .

النهاية في غريب الحديث

مؤلفها أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري ، المولود بجزيرة
ابن عمر سنة ٥٤٤ والمتوفى بالموصل سنة ٦٠٦ هجرية

...

ولا يتسع المقام للتعريف بجميع الأصول المذكورة في مراجع المؤلفين . وقد عرض الزبيدي لبعضها في مقدمته ،
كما عرّف بكثير من رجال اللغة ، فانظر ذلك فيما يأتي :

على أن ثلاثة كتب من هذه الأصول جعلناها مما يرجع إليه في التحقيق عند ذكر الشواهد الشعرية ، وبعضها
رجع إليه الزبيدي أيضاً

الجمهرة

مؤلفها محمد بن الحسن بن دريد ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هجرية . ويقال إن
ابن دريد أتمى الجمهرة من حفظه دون النظر في شيء من الكتب إلا في الهمة والتضعيف .

وقد سها بعض المؤلفين فقالوا إن الجمهرة من مراجع ابن منظور في لسان العرب . ذكر ذلك في بغية الوعاة
والدرر الكامنة ، وتبعهما الزبيدي في مقدمة التاج ، كما وهم مؤلفون محدثون فنقلوا هذا دون تمحيص .

فصاحب اللسان نفسه في مقدمته لم يذكره في مراجعه ، والذي يرد من ذكر لابن دريد في اللسان ، إنما جاء
عن طريق المحكم لابن سيده ، وقد كانت الجمهرة من مراجعه .

المقاييس

مؤلفه أحمد بن زكريا بن فارس ، كان مقيماً بهمدان ، وتوفي سنة ٣٩٠ أو سنة ٣٩٥ هـ بالرّى
واعتماده في كتاب المقاييس ، كما قال في مقدمته ، على كتاب العين . غريب الحديث ومصنف الغريب لأبي
عبيد ، وكتاب المنطق لابن السكيت ، وكتاب الجمهرة لابن دريد .

وقال بعد أن ذكرها : فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة ، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها ، وراجع إليها ، حتى إذا وقع الشيء النادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله

اساس البلاغة

مؤلفه محمود بن عمر بن محمد بن عمر المولود بزَمَخْشَر من قُرى خُوارزَم سنة ٤٦٧ ، والمتوفى سنة ٥٣٨ في خُوارزَم بعد رجوعه من مكة . ولم يذكر في مقدمته للأساس مراجعه .

...

وإذن فقد كانت الأصول التي تقدمت كلها بروافدها مدداً يَنْصَبُ في تاج العروس ، إلى جانب الروافد الكثيرة المتشعبة التي عددها في مقدمته ، وهي أكثر من مائة ، وبعضها يشتمل على عدة مجلدات . وكلها متشعبة الفنون ، من لغة ، وقراءات ، وحديث ، ونحو وعلومه ، وتاريخ ، وطبقات الرجال ، وأنساب ، وحيوان ، ونبات ، وشروح الأشعار وطب وعقاقير ، وخطط وبلدان .

طبعتان لتاج العروس فاسدتان

في سنة ١٢٨٧ هـ طبع من تاج العروس خمسة أجزاء ، بالمطبعة الوهبية ، وتوقفت المطبعة عن إتمامه ، ثم طبع كاملاً في عشرة أجزاء ، كان الفراغ منها سنة ١٣٠٧ هـ كما هو مؤرخ في آخر الجزء العاشر .

والطبعتان خاليتان من الضبط ، تشتمل الصفحة في كل منهما على واحد وأربعين سطراً ، في كل سطر حوالي عشرين كلمة ، تكاد الكلمات تتلاصق ، دون مراعاة للمعاني وأوائل السطور . وكثير من الشواهد الشعرية لا تستقل بسطورها . . وهذا كله يرهق الباحث ويزهده في الانتفاع بما فيه .

على أن الطبعتين حافظتان بالخطأ ، منه ما جاء بسبب الطباعة ، ومنه ما جاء عن المراجع التي نقل عنها الزبيدي ، إذ كانت مخطوطة كلها في عهده ، إلى جانب السهو من الزبيدي نفسه في النقل والتأليف . والمتتبع لما يذكره المحققون في هوامش الطبعة الجديدة سيجد من ذلك الخطأ عجائب لا تحصى (انظر مثلاً آخر مادة جياً) في هذا الجزء .

وعدم الضبط يرجع إلى الزبيدي نفسه ، فإن ما وُجد من التاج بخطه غير مضبوط ، كما أن ما نُسخ في عهده بخط تلاميذه وراجعوه هو خالٍ من الضبط إلا فيما ندر .

والحق أنه معذور في عدم الضبط ، فقد أمضى في تأليفه أربعة عشر عاماً وأياماً ، يواصل عمله دون انقطاع إلا لمهام الحياة وضرورياتها ، ولو أنه غنى بضبطه مع تأليفه لَأَمْضَى ضِعْفَ المدة . فهو لا ينسخ كتاباً ، وإنما يُوفِّق بين مؤلفات متعددة ، ويرتب ما فيها ، بحيث تتداخل وتنسجم مع أصول القاموس ، ويضيف مستدرَكاً ما فات .

ومع الاعتذار له ، ما كان ينبغي أن تخلو طباعته من الضبط ، ومن تحرّى الصواب ، فالاستفادة من طبعته السابقتين قليلة ، بل فيهما مزالق وعثرات ، ضررها أكثر من نفعها .

يقول الأزهري في مقدمته لكتاب التهذيب : « وإن أكثر ما قرأنا من الصُّحف التي لم تُضَبَّ بالنقط الصحيح ولم يَتَوَلَّ تصحيحها أهلُ المعرفة لسقيمة لا يعتمدونها إلا جاهل »

هذا كلام يقوله صاحبه منذ عشرة قرون مضت ، فكيف بكتاب يُطبع خالياً من الضبط ، وبه كثير من التحريف والتطبيع

على أن مهمة ضبطه وتحقيقه وتصويبه من أشق الأمور . فالزبيدي يتنقل من مصادر متعددة ، وبعضها مفقود الآن ، ثم إنه في بعض الأحيان يأتي بالنصوص دون أن يذكر الكتاب الذي نقل عنه ، وقد يذكر اسم كتاب يشتمل على مئات الصفحات ، بل آلاف الصفحات ، وهي غير مفهرسة ، وقد تأتي عَرَضاً . فالسبيل للوصول إلى ما قاله وعر المسالك ، صعب المرتقى ، وإذا كانت أكثر ألفاظ القاموس مَبْنِيَّةً على قواعد وضعها وأشار إليها في مقدمته ، فإن ما يأتي به الزبيدي في أثناء الشرح ، وما يعقب به من استدلالات لا تنطبق على قواعد صاحب القاموس ، وبعضه معقد عسير .

لهذا روعي في المنهج الذي وضع لتحقيق هذا الكتاب ، واعتمدته وزارة الإرشاد والأنباء ، أن يكون وافياً بالغرض ، محققاً للأمل في الاستفادة بما في تاج العروس من معارف ومعلومات . كما روعي أن يكون القائمون بالعمل لهم دراية واشتغال كثير باللغة ، إلى جانب خبرتهم العلمية والعملية في تحقيق التراث . راجين أن لا يكون في هذا المنهج وتطبيقه قصور ولا نقصير .

منهج التحقيق

- (١) ضبط اللغة ضبطاً كاملاً
- (٢) ضبط الآيات ضبطاً كاملاً وترقم
- (٣) ضبط الأحاديث ضبطاً كاملاً
- (٤) ضبط الشواهد الشعرية والأمثال
- (٥) تُنسب الأشعار غير المنسوبة ما أمكن ، ويشار إلى موضع النسبة .
- (٦) إن كان للشاعر ديوان يشار إلى الصفحة التي فيها الشاهد ، مع الإشارة إلى اختلافه إن كانت روايته فيه لا شاهد فيها على الكلمة اللغوية
- (٧) إذا كان البيت ناقصاً بالأصل يكمل في الهامش ويشار إلى موضع تكملته
- (٨) توثق النصوص بالمراجع وبخاصة ما اعتمد عليه المؤلف ، مع الإشارة إلى وجود الشاهد في الصحاح وجمهرة ابن دريد ومقاييس اللغة واللسان وأساس البلاغة . ويضاف إلى ذلك ما يراه المحقق نافعاً للباحثين ، كمعجم البلدان ومعجم ما استعجم مثلاً
- (٩) تراعى علامات الترقيم وأوائل السطور بدقة وعناية
- (١٠) توضع الآيات بين قوسين هكذا ﴿ ٥ ﴾
- (١١) توضع الأحاديث والأمثال بين قوسين مزدوجين هكذا « ٥ »
- (١٢) توضع الزيادة على الأصل بين قوسين معقوفين هكذا [٥] مع الإشارة إلى المصدر الذي زيدت منه .

الرموز والإشارات

- ١ - وضع نجمة (•) بجوار رأس المادة ، فيه تنبيه على أن المادة موجودة في اللسان
- ٢ - ذكر اللسان والصحاح والتكملة والعباب بالهامش دون تقييد بمادة معناه أن النص المعلق عليه موجود فيها في المادة نفسها التي يشرحها الزبيدي
- ٣ - الاستدراك وضع أمامه القوسان هكذا [٥]

...

هذا هو المنهج الذي ارتضيناه ، والذي ينبغي أن نسير عليه . وبعد الفراغ من طبع الكتاب تكون له فهارس وافية إن شاء الله

وضبط اللغة ليس مقصوداً به المادة وحدها ، بل كل لفظ لغوي يترد في الشرح ، وكذلك مضارع الأفعال ، بحيث لا يحتاج القارئ في ضبط اللفظ الذي يصادفه إلى الرجوع إلى مادته ، وذلك ما نكّله إلى الإخلاص للعلم ، والأمانة فيه ، وصيانة اللغة من العبث والتفريط

...

تأليف تاج العروس

بدأ الزبيدي في تأليف تاج العروس حوالى سنة ١١٧٤هـ بعد قلمومه إلى مصر بسبعة أعوام ، وسنه إذ ذاك تسعة وعشرون عاماً ، وانتهى من تأليفه سنة ١١٨٨ ، استغرق تأليف الجزء الأول ستة أعوام وبضعة أشهر ، وانتهت الأجزاء التسعة الباقية في سبعة أعوام وبضعة أشهر . فالجزء الأول يقرب تأليفه من نصف الزمن الذى ألف فيه الكتاب جميعه ، ما ذلك إلا لأنه بدء عمل جديد ، وتجميع من كل الكتب ، حتى دُللت أمامه الصعاب ، وفُتحت الأبواب ، ووضح له السبيل ، فسلكه بعد ذلك دون تأخير .

كتب الزبيدي كل مؤلفه بنفسه ، وكان بعد ذلك يسلم مسوداته إلى تلاميذه لبييضوها ويراجعوه فيها . والنسخة المبيضة بخطوط مختلفة ، متقاربة في الجمال والإتقان من ناحية الخط . وهذه النسخة المبيضة هي التي أخذها منه محمد بك أبو الذهب حينما أنشأ جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، وعوضه عنها مبلغاً من المال . وهذه النسخة موجودة الآن بدار الكتب بالقاهرة ، وفي خزانة المكتبة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة جزءان من تجزئته بخطه ، وفي مكتبة الأزهر قطعة من الكتاب بخطه أيضاً

وحينما وجد التكملة للصاغاني بعد مدة عارضها على ما ألفه ، واستفاد منها ، فالجزء الثانى من تجزئته كان انتهاء تأليفه سنة ١١٨٢ هـ ثم أضاف إليه بعد تبييضه ما يأتى :

قال مؤلفه محمد مرتضى : بلغ عراضه على تكملة الصاغاني في مجالس آخرها ١٤ جمادى سنة ١١٩٢

وعلى مخطوط التكملة نفسها توقيع منه بأنه عارضها على تاج العروس

ويقول الزبيدي في مكتوب له إلى أحد شيوخه ، مثبت في كتاب أيجد العلوم

« ومما من الله تعالى على أنى كتبت على القاموس شرحاً غريباً في عشر مجلدات كوامل ، جملتها خمسمائة كراس ، مكثت مشغلاً به أربعة عشر عاماً وشهرين ، واشتهر أمره جداً ، حتى استكتبه ملك الروم نسخة ، وسلطان دارفور نسخة ، وملك المغرب نسخة . ونسخة منها موجودة في وقف أمير اللواء محمد بيك بمصر ، وبذل في تحصيله ألف ريال ، وإلى الآن الطلب من ملوك الأطراف غير متناه . »

أما الجبرتي فقال إن محمد بيك أبا الذهب عوضه عنه مائة ألف درهم فضة .

...

مؤلفات الزبيدي

مستمدة من كلام المؤلف نفسه ، ومن الجبرتي ، وآخر تاج العروس ، ومن كتاب الحركات الإصلاحيّة للدكتور الشبال ، وأغلب ما في هذا الكتاب عن كتاب الكتّاني فهرس الفهارس

- (١) الابتهاج بختم صحيح مسلم بن الحجاج (في آخر تاج العروس : الابتهاج بذكر أمر الحجاج)
- (٢) إتحاف الأصفياء بسلاسل الأولياء
- (٣) إتحاف الإخوان في حكم الدخان (في الجبرتي والشيال : هدية الإخوان في شجرة الدخان)
- (٤) إتحاف بني الزمن في حكم قهوة اليمن
- (٥) إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين
- (٦) إتحاف سيد الحى بسلاسل بني طى
- (٧) الاحتفال بصوم الست من شوال
- (٨) اختصار مشيخة أبي عبدالله البياني
- (٩) أربعون حديثاً في الرحمة
- (١٠) أرجوزة في الفقه
- (١١) إرشاد الإخوان إلى الأخلاق الحسان
- (١٢) الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة
- (١٣) الإشغاف بالحديث المسلسل بالأشراف (وأنظر : مقدمة سماها ...)
- (١٤) إعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام
- (١٥) إقرار العين بذكر من نسب إلى الحسن والحسين
- (١٦) إكليل الجواهر الغالية في رواية الأحاديث العالية
- (١٧) ألفية السند ومناقب أصحاب الحديث
- (١٨) الأمالي الحنفية
- (١٩) الأمالي الشيعونية
- (٢٠) إنالة المنى في سر الكنى
- (٢١) الانتصار لوالدي النبي المختار
- (٢٢) إنجاز وعد السائل في شرح حديث أم زرع من الشماثل (في التاج : شرح حديث أم زرع)
- (٢٣) إيضاح المدارك عن نسب العواتك
- (٢٤) بذل المجهود في تخريج حديث شيبتي هود (في التاج : تخريج حديث شيبتي هود)
- (٢٥) بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب
- (٢٦) تاج العروس (وهو كتابنا هذا)
- (٢٧) التحرير في الحديث المسلسل بالتفكير (في التاج : المسلسل بالتكبير)
- (٢٨) تحفة العيد (انظر التغريد في الحديث ...)
- (٢٩) تحفة الودود في ختم سنن أبي داود
- (٣٠) تخريج أحاديث الأربعين النووية
- (٣١) تخريج حديث شيبتي هود (انظر بذل المجهود)
- (٣٢) تخريج حديث نعم الإدام الحل (انظر جزء في حديث نعم الإدام الحل)
- (٣٣) ترويع القلوب بذكر ملوك بني أيوب
- (٣٤) التعريف بضروري علم التصريف
- (٣٥) التعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة (في التاج : الفوائد الجليلة)

- (٣٦) التفريد في الحديث المسلسل بيوم العيد (وانظر تحفة العيد)
- (٣٧) التفتيش في معنى لفظ درويش
- (٣٨) تفسير على سورة يونس على لسان القوم
- (٣٩) تكملة على شرح حزب البكرى للفاكهى
- (٤٠) تكملة القاموس عما فاته من اللغة ^(١)
- (٤١) تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير
- (٤٢) جزء : طرق : أسمع بسمع لك
- (٤٣) جزء في حديث « نعم الإدام الخل » (انظر تخريج حديث ...)
- (٤٤) الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة
- (٤٥) حديقة الصفا في والدى المصطفى
- (٤٦) حسن المحاضرة في آداب البحث والمناظرة
- (٤٧) حكمة الإشراف إلى كتاب الآفاق
- (٤٨) حلاوة الفانيد في إرسال حلاوة الأسانيد
- (٤٩) اللذة المضية في الوصية المرضية
- (٥٠) رسالة في أصول الحديث
- (٥١) رسالة في أصول المعنى
- (٥٢) رسالة في تحقيق قول أبى الحسن الشاذلى « وليس من الكلام » إلخ
- (٥٣) رسالة في تحقيق لفظ الإجازة
- (٥٤) رسالة في طبقات الحفاظ
- (٥٥) رسالة في المناشى والصفين
- (٥٦) رشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق
- (٥٧) رشفة المدام المختوم البكرى من صفوة زلال صيغ القطب البكرى
- (٥٨) رفع الشكوى لعالم السر والنجوى
- (٥٩) رفع الكلل عن العلل « أربعون حديثا انتقاها من الدار قطنى »
- (٦٠) رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبى الوفا
- (٦١) الروض الموثلف في تخريج حديث يجمل هذا العلم من كل خلف
- (٦٢) زهرة الأكماء المنشق عن جيوب الإلهام بشرح صيغة سيدى عبد السلام
- (٦٣) شرح ثلاث صيغ لأبى الحسن البكرى
- (٦٤) شرح حديث أم زرع (انظر إنجاز وعد السائل)
- (٦٥) شرح سبع صيغ المسمى بدلائل القرب للسيد مصطفى البكرى
- (٦٦) شرح الصدر في أسماء أهل بدر
- (٦٧) شرح صيغة السيد البدوى
- (٦٨) شرح صيغة ابن مشيش

(١) كتب على غلاف النسخة المصورة بالجامعة العربية اسم الكلمة والصلة والدليل . أما النص المثبت باسمها فهو ما ذكره المؤلف في مکتوب له مثبت في کتاب أجد العلوم وما ذكر أيضا في آخر تاج المروس

- (٦٩) شرح على خطبة الشيخ محمد البحيرى البرهانى على تفسير سورة يونس
- (٧٠) العروس المجلية فى طرق حديث الأوليه
- (٧١) العقد الثمين فى حديث اطلبوا العلم ولو بالصين
- (٧٢) عقد الجمان فى أحاديث الجان
- (٧٣) عقد الجواهر المنيفة فى أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة
- (٧٤) عقد الجواهر الثمين فى الحديث المسلسل بالمحمدين
- (٧٥) العقد المكمل بالجواهر الثمين فى طرق الإلباس والذكر والتلقين
- (٧٦) العقد المنظم فى أمهات النبى صلى الله عليه وسلم
- (٧٧) عقيلة الأثراب فى سند الطريقة والأحزاب
- (٧٨) الفجر البابلى فى ترجمة البابلى
- (٧٩) الفوائد الجلية على مسلسلات ابن عقيلة (وانظر التعليقة الجلية)
- (٨٠) الفيوضات العلية بما فى سورة الرحمن من أسرار الصيغة الإلهية (انظر منح الفيوضات)
- (٨١) قلنسوة التاج فى بعض أحاديث صاحب الإسراء والمعراج
- (٨٢) قلنسوة التاج (رسالة بالعنوان نفسه ألفها باسم الشيخ محمد بن بدير المقدسى وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى تاج العروس فأرسل إليه كرارىس من أوله حين كان بمصر وذلك فى سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه عطية الأجهورى ويكتب عليها تقریظا ، ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه ، فكتب إليه أسانيده العلية فى كراسة وسماها : قلنسوة التاج)
- (٨٣) القول الصحيح فى مراتب التعديل والتجريح
- (٨٤) القول المثبوت فى تحقيق لفظ الثابت
- (٨٥) كشف الغطا عن الصلاة الوسطى
- (٨٦) كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام
- (٨٧) كوثرى النبع لفتى جوهرى الطبع (ذكر فى التاج مادة وضاً ومادة هندب)
- (٨٨) لقط اللآلى من الجوهر الغالى (وهى فى أسانيد الأستاذ الحفنى وكتب له إجازته عليها فى سنة ١١٦٧ وذلك سنة قنومه إلى مصر)
- (٨٩) لقطة العجلان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان
- (٩٠) المربى الكابلى فيمن روى عن الشمس البابلى
- (٩١) المرقاة العلية بشرح الحديث المسلسل بالأولية
- (٩٢) معارف الأبرار فيما للكنى والألقاب من أسرار
- (٩٣) المعجم الأكبر (قال الكتانى إنه وقف على نسخة منه بالمدينة المنورة فى مكتبة شيخ الإسلام واستنسخه لنفسه وأنه يشتمل على نحو ستمائة ترجمة من مشايخه والآخذين عنه « هذا وفى آخر تاج العروس فى الترجمة التى للزبيدي » حتى إنه تلقى عن نحو من ثلاثمائة شيخ ذكر أسماءهم فى برنامجهم .
وفىها أيضا : « وللمترجم تأليف غير هذا الشرح تريد على مائة كتاب قد ذكرها فى برنامجهم » .
- (٩٤) المعجم الصغير
- (٩٥) معجم شيوخ السجادة الوفاية
- (٩٦) معجم شيوخ العلامة عبدالرحمن الأجهورى شيخ القراء بمصر

- (٩٧) المقاعد العندية في المشاهد النقشبندية
 (٩٨) مقدمة سماها إسعاف الأشراف (وانظر الإشغاف)
 (٩٩) مناقب أصحاب الحديث
 (١٠٠) منح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية (انظر الفيوضات العلية)
 (١٠١) المواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولية (في كتاب الشيال : المنح الجلية)
 (١٠٢) نشق الغوالي من تخريج العوالي « عوالي شيخه على بن صالح الشاوري »
 (١٠٣) نشرة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقдах
 (١٠٤) النفحة القدسية بواسطة البضعة العبدروسية
 (١٠٥) النوافح المسكية على الفوائخ الكشكية « في كتاب الشيال : النوافح الملكية »
 (١٠٦) هدية الإخوان في شجرة الدخان (انظر إتحاف الإخوان)
 (١٠٧) الهدية المرتضية في المسلسل بالأولية

...

« نسبة كتاب له »

في كتاب الأعلام للزركلي نسب للزبيدي كتابا هو « مختصر العين اختصر به كتاب العين المنسوب للخليل ابن أحمد »

ولا أدري من أين جاء بهذا ، والمعروف أن الذي اختصر كتاب العين هو أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي بالتصغير ، نسبة لقبيلة لا إلى البلد زبيد التي بفتح الزاي . وأبو بكر هذا أندلسي ، توفي سنة ٣٧٩ هجرية ، أي قبل مؤلف تاج العروس بثمانية قرون . انظر ترجمته في ابن خلكان وغيره

...

طريقة تاج العروس

يغلب في شرح الكتب أن تتميز الشروح عن المصنفات التي تناولها ، ويستطيع القارئ أن يعرف ما للمؤلف وما للشارح من أقوال ، ولو لم توضع بينها فواصل وحدود ، أما القاموس وشرحه تاج العروس فإنه لو أزيلت الحدود التي تفصل بين المتن والشرح لكان من الصعب معرفة ما لهذا أو ما لذاك .

هذا والزبيدي ينسب كثيرا من التفسير اللغوي إلى قائله ، إرجاعا لمتن القاموس إلى أصوله التي استمد منها . وبعد انتهاء المادة التي ألفها الفيروزبادي وشرحها هو يستدرك ما نقص ، جامعا ذلك من أشتاب كتب اللغة وغيرها من الفنون . وإذا ترك الفيروزبادي مادة أثبتها الزبيدي في مستدركاته على القاموس ، ولا ينسى غالبا أن ينسب إلى كل مادة أهملها الخليل أو ابن دريد أو الأزهرى أو الجوهري أو ابن سيده أو ابن منظور ، فهو رقيب على كل هذه الكتب وغيرها من المعاجم السابقة ، ومبين ما فيها من نقص أو إهمال . وفي النسخة التي بخط الزبيدي كان يضع كلمة القاموس وفوقها خط ، فلما نسخه تلاميذه جعلوا كلمة

القاموس باللون الأحمر ، وكلام الشارح الزبيدي باللون الأسود . وحينما طبع التاج رُئي أن تكون كلمة صاحب القاموس بين قوسين والشرح مطلقاً من الأقواس

وهذا ما سرنا عليه في الطبعة الجديدة ، لصعوبة الطبع بلونين ، وللتيسير على الطابع تخليصاً من أن يضع خطوطاً فوق الكلمات . والمهم هو أن نعرف ما للفيروزبادي وما للزبيدي .

احتفال الزبيدي بانجاز التاج

يقول الجبرتي في تاريخه : إن الزبيدي لما أكمل شرح القاموس أولم وليمة حافلة ، جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية ، وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف ، وأطلعهم عليه ، واغبطوا به ، وشهدوا بفضلته ، وسعة اطلاعه ، ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريرهم ثراً ونظماً ، فممن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعدي ، والشيخ أحمد الدردير ، والسيد عبد الرحمن العيدروس ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ حسن الجداوي ، والشيخ أحمد البيلي ، والشيخ عطية الأجهوري ، والشيخ عيسى البراوي ، والشيخ محمد الزيات ، والشيخ محمد عبادة ، والشيخ محمد العوفي ، والشيخ حسن الهواري ، والشيخ أبو الأنوار السادات ، والشيخ علي القناوي ، والشيخ علي خرائط ، والشيخ عبد القادر بن خليل المدني ، والشيخ محمد المكي ، والشيخ علي المقدسي ، والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا ، والشيخ علي الشاوري ، والشيخ محمد الحربتاوي ، والشيخ عبد الرحمن المقرئ ، والشيخ محمد سعيد البغدادى الشهير بالسويدي ، وهو آخر من قرظ عليه ، وكنت إذ ذاك حاضراً ، وكتبه نظماً ارتجالاً ، وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة وألف »

إن المؤلف نفسه وهو الزبيدي نص على أنه أنجزه سنة ١١٨٨ هجرية ، وإذن تكون الوليمة التي أولمها الزبيدي بمناسبة إنجاز الجزء الأول . وقد رأيت فوق الجزء الأول المخطوط ثلاثة تقارير هي تقرير الشيخ حسن سالم الهواري ، والشيخ علي الصعدي والشيخ عبدالرؤف السجيني . وكان تاريخ التقرير الثالث منها في شوال سنة ١١٨١ هـ وهو ما يتفق مع تاريخ الوليمة . والجبرتي لم يشهد التقارير الأولى ، وإنما قال إنه حضر آخرها سنة ١١٩٤ مع العلم أن المؤلف نص على فراغه من الكتاب سنة ١١٨٨ ، وواضح من ذلك أن الزبيدي كان يظهر مخطوطه لكل عالم يفد إلى مصر ، فرحاً بعمله العظيم ، فيظفر من العلماء بالشناء والتقدير .

وقد نقل علي باشا مبارك في خطه نصوص الجبرتي دون تمحيص أو توفيق بين نص المؤلف ونص الجبرتي . والدكتور جمال الدين الشيال في محاضراته التي ألقاها في معهد الدراسات العربية وطبعت عام ١٩٥٨ نقل نص الجبرتي وأسقط ما ذكره من التواريخ ، تخليصاً من الاختلاف بين الزبيدي وتلميذه الجبرتي المؤرخ .

صلة الزبيدي بالقاموس

زبيد باليمن انتهى إليها مطاف الفيروزبادي صاحب القاموس ، فروى كتابه ، وكثر ناقلوه ، والزبيدي نشأ بزبيد ، فلا عجب أن تتطلع نفسه إلى قراءته ودراسته ، وواضح من سنده المتصل بالفيروزبادي أنه بدأ في قراءة القاموس وسنه لم تبلغ العشرين . فهو يقول : حدثنا شيخنا الإمام الفقيه اللغوي رضى الدين عبد الخالق بن أبي بكر بن النمرى المزجاجي الزبيدي الحنفى ، وذلك بمدينة زبيد ، حرسها الله تعالى ، وبحضور جمع من العلماء ، بقراءتي عليه قدر الثلث ، وسماعى له فيما قرئ عليه في بعضه . .

وأجازني به أيضا شيخى الفقيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ علاء الدين عبد الباقي المزجاجى عن والده عن أخيه عفيف الدين .

هذا سنده للقاموس فى زبيد ، ثم كان له سند أخذه بالمدينة قبل بلوغه العشرين أيضا ، وهذا هو :
وأخبرنا شيخنا المحدث الأصولى اللغوى نادرة العصر أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن موسى الشرفى الفاسى نزيل طيبة ، طاب ثراه ، فيما قرئ عليه فى مواضع منه وأنا أسمع ومناولة لكل سنة ١١٦٤ ... »
فلا عجب إذن أنه حينما وصل إلى مصر سنة ١١٦٧ أن يهتم بالقاموس ، وقد ظفر فى مصر بأهم الكتب التى تُعينه . وقد نص فى بعضها على المكتبات التى وجدها فيها ، ومما لاشك فيه أن أغلب ماعده من الكتب وجدته بالقاهرة ، فإنها وهى مخطوطة فى عهده تبلغ أحمالاً ، ولا يعقل أنه استحضرها معه ، وهو الرحالة المتنقل بين اليمن ومكة والطائف والمدينة ، والشاب الذى لم يكن بلغ من الشهرة والثروة ما يجعله يملك عشرات المخطوطات التى تبلغ فى مجمرها مئات المجلدات ..

ولقد كان الزبيدى معجباً بلسان العرب أيما إعجاب ، وهو كما قلت كان مرجعه فى كثير مما شرح واستلرك بل إنه فى مقدمته التى سترها فى التاج نقل ثمانية وعشرين سطراً من مقدمة ابن منظور فى كتابه اللسان ، دون أن يشير إلى ذلك ، وغير بعض الألفاظ القليلة التى فيها أسماء الكتب ، وأضاف بضعة ألفاظ : قال ابن منظور ج ١ ص ٣ - ٤ من اللسان : « فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج سهل السلوك ، آمناً » إلى « وسميته لسان العرب »

وقال الزبيدى : « فجاء بحمد الله تعالى هذا الشرح واضح المنهج كبير الفائدة سهل السلوك » الخ إلى « وسميته تاج العروس »

انظر هذا النص بعد تعدادده للكتب التى رجع إليها ، قبل قوله « المقدمة وهى مشتملة على عشرة مقاصد »

...

وهناك شىء يبدو متناقضاً لأول وهلة ، ذلك أن الزبيدى وهو يشرح خطبة صاحب القاموس يقول عند ذكر المحكم « وأما المحكم المتقدم ذكره فعندى منه أربع مجلدات » وعند ذكر العباب : « وهذا الجزء لم أطلع عليه مع كثرة بحثى عنه » .

ثم يجئ فى مقدمته وهى تسبق شرح خطبة الفيروزبادى فيقول عن المحكم : « والمحكم لابن سيده فى ثمان مجلدات » .

وعن العباب والتكملة ، كلاهما للرضى الصاغاني ظفرت بهما فى خزانة الأمير صرغتمش »

وتوجيه ذلك أن المقدمة وإن كانت فى أول الكتاب تكتب بعد الفراغ من التأليف ، فهو فى شرح خطبة صاحب القاموس بادية بالعمل ، وهو فى كتابته للمقدمة كان بعد انتهاء العمل ، وفى خلال الأعوام الطويلة التى شرح فيها القاموس عثر على العباب ، فلا تناقض بين القولين ، ولعله أيضاً بالنسبة للمحكم كان أمامه منه أربعة أجزاء ثم ظفر ببقية أجزائه ، وليس ذلك ببعيد ، فهناك كتب ذكرها ونص على أنه وجد منها بعض أجزاء .

ولمناهضة بعض المواد بقوله « والتر كيب يدل على كذا » إنما هو منقول بنصه من العباب ، وبعضه لم ينقله ، وهذا ما تبين لي بعد مقارنتي بين التاج والعباب . وهناك شواهد لا توجد في اللسان وانفرد التاج بها عن العباب أو التكملة

وكتابه الذي سماه « تكملة القاموس عما فات من اللغة » ما هو إلا تجريد مختصر لما أضافه من معان لغوية في شرح القاموس ، ينقصه ما أورده من شواهد وأقوال في التاج .

وهذه مقارنة تبين الفرق بينهما ، ففي تكملة القاموس في المادة الأولى

(أبأ) « الإباءة أجمة الحلفاء خاصة عن ابن برى . وماء الإباء هو الذي تشرب منه الأروى فتبول فيه وتدمنه وبه فسر قول لأبي المثلث الهذلي »

أما في تاج العروس فقد أتى بهذه النصوص ، مع إيراد لشعر أبي المثلث ، وتوسع في الكلام .

وواضح من هذا أن ما في تاج العروس مشتمل على كل ما في تكملة القاموس ، مع استيفاء كثير يبلغ أضعاف ما فيها من ألفاظ .

التعريف بالزبيدي (١)

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، ينتهي نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم . اشتهر بالسيد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ويكنى أبا الفيض وأبا الجود وأبا الوقت^(٢)

ولد سنة خمس وأربعين ومائة وألف ١١٤٥ هجرية ، وتلميذه الجبرتي الذي جالسه كثيرا لم يذكر لنا البلد الذي ولد فيه ، أما كتاب أجد العلوم ، وكتاب نشر العرف ، وكتاب فهرس الفهارس ، وطابعو تاج العروس الطبعة الثانية ، فقد ذكروا أنه ولد ببلد هندي هو بلجرام - وهي بالبحر القاهرية - أو الواسطية التابعة لبلجرام ، وتعريف بلجرام كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية : « مدينة بولايات الهند ، على خط عرض ٣٠° ١٠' شمالاً وخط طول ٣٠° ٤٠' شرقاً ، وقد اشتهرت بنوع خاص بأنها مركز من مراكز الثقافة الإسلامية

(١) مراجع الترجمة له :

- أ - ما كتب في أوائل وأواخر تاج العروس المخطوط .
- ب - تاريخ الجبرتي .
- ج - المخطط التوفيقية ، ونصوصها لاشك عن الجبرتي .
- د - أجد العلوم .
- هـ - نشر العرف لنبله اليمن بعد الألف .
- و - فهرس الفهارس .
- ز - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، ونصوصه معتمدة على الجبرتي .
- ح - آخر الجزء العاشر من طبعة تاج العروس الثانية .
- ط - الأعلام للزركلي .
- ي - الحركات الإصلاحية للدكتور الشيال .

(٢) « أبو الفيض » متفق عليها في الكتب المترجمة له . و « أبو الوقت » ذكرها الكتاني و « أبو الجود » أثبتها تلميذه علي بن عبد الله ابن أحمد الحسيني في آخر حرف الزاي إذ يقول : « قال شيخنا أبو الجود والفيض ... »

(وى)

من أيام أكبر إلى القرن التاسع عشر (الميلادي) ويرد سادة بلكرام نسبهم إلى السيد أبي الفرح الواسطي ، الذي يقال إنه هاجر إلى الهند بعد غزوة هولاكو لبغداد .

والغريب أن بلجرام أو بلكرام ، لم يذكرها الزبيدي في تاج العروس في المستدركات ، مع أنه ذكر بلاداً مصرية كثيرة . وقد تتبعنا مظان المواد التي تقع فيها (بلجرام ، بلكرم ، بلج ، بلك ، بلجر ، بلكر) فلم أعثر عليها .

وقيل أيضاً إنه من السادة الواسطية من قصبة بلكرام وهي على خمسة فراسخ من قنوج ما وراء نهر جنج أو كنك (بالجيم القاهرية) ولا توجد في مستدركاته نهر جنج ولا كنك ولا جنك ، وفي مادة وسط عدد الزبيدي والقاموس الأماكن المسماة من هذه المادة شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، فلم يشر في إحداها إلى أن أصله منها . لكن الزبيدي نفسه في مكتوب له ، مثبت في فهرس الفهارس يقول : « وكتب العبد إلى الله أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الواسطي العراقي الأصل الزبيدي نزيل مصر غفر الله له » وتاريخ هذا المكتوب في ١٦ من ربيع سنة ١١٩٧ أي قبل وفاته بثمانية أعوام . فهو يعترف بأن أصله من العراق .

وفي مقدمة معجمه الصغير الذي نقله الكتاني « يقول العبد الفقير كثير الحرم والتقشير أبو الفيض محمد مرتضى ابن المرحوم السيد محمد بن القطب الكامل السيد محمد الحسيني الواسطي نزيل مصر . »

وفي آخر حرف الصاد من تاج العروس مثبت ما يأتي :

« من خط مؤلفه العبد الفقير الفاني محمد مرتضى الحسيني اليماني »

وفي آخر حرف الزاي ما يأتي « قال شيخنا مؤلف هذا الشرح الجليل السيد الشريف أبو الجود والفيض ... السيد الجليل محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحسيني العلوي الزبيدي اليماني الواسطي الحنفي الشهير لقبه الشريف المرتضى أدام الله تأييده ورضى عنه وألحقه بمقام آبائه وأجداده الطاهرين رضى الله عنهم أجمعين . فرغ ذلك في عشية نهار الخميس لأربع بقين من شوال سنة ١١٨٣ »

فنحن لا نجد نصاً واضحاً في كلامه يدل على أنه من الهند ، وإن صح أنه ولد هناك فإن بقاءه فيها كان لفترة وجيزة . وما عرف به الكتاني من أنه « اشتغل على المحدث محمد فاخر بن يحيى الالهابادي والشاه ولي الله الدهلوي فسمع عليه الحديث وأجازه ثم ارتحل في طلب العلم فدخل زييد وأقام بها مدة طويلة حتى قيل له الزبيدي وبها اشتهر » ... فيه مبالغة واستتاج غير قوى ، لأن دليله على ذلك هو ما جاء في معجم شيوخه الصغير . لكن النص الموجود في المعجم والذي نقله الكتاني يعد فيه من أجازه ممن لقبهم « محمد بن فاخر بن محمد بن يحيى العباسي نور الحق بن عبدالله الحسيني نزيل مكة ... وولي الله الدهلوي ياسين العباسي نزيل أكبر أباديس » (كذا) إنا نرى أن الأول منهما نزيل مكة ، وأن الثاني نزيل أكبر أباديس . ومعلوم أن الزبيدي تنقل في الحجاز بين مكة والمدينة والطائف ، وأخذ عن شيوخ فيها

والمتبع لتراجم الجبرتي يجد مثلاً في ترجمة عمر بن أحمد بن عقيل ج ١ ص ٢٦٥ « وبه تخرج شيخنا السيد محمد مرتضى في غالب مروياته وسمعت منه أنه اجتمع به بالمدينة المنورة عند باب الرحمة ... وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة وألف ، ولازمه بمكة سنة أربع وستين ومائة وألف »

وفي ترجمة عبدالله الميرغني ج ٢ ص ٢٢٥ « كما أشار إلى ذلك شيخنا السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة ثلاث وستين ومائة وألف »

وفي ترجمة عبدالرحمن العيدروس ج ٢ ص ٣٣ « أنشدني شيخنا العلامة أبو الفيض السيد مرتضى قال أنشدني السيد عبدالرحمن العيدروس لنفسه وأنا نزيله بالطائف سنة ١١٦٦ » .

فلعل الزبيدي أخذ عن محمد بن فاخر وهو بمكة ، ولعله سافر إلى دهلي بعد أن تعلم في زبيد . والكتاني نقل عن صاحب النفع المسكي بعض شيوخ للزبيدي منهم « نور الدين محمد القبولي نسبة إلى قبولة بالفتح حصن منيع بالهند ، لقيه بداهلي » .

وسبقه صاحب أبحر العلوم فنقل أن الزبيدي قال عن ولي الله المحدث الدهلوي « وحضرت بمنزله في دهلي » . وأظن أن السبب في النص على بلجرام هو ما نقله صاحب أبحر العلوم في كتابه حيث قال :

« السيد أصله من السادة الواسطية من قصبة بلكرام وهي على خمسة فراسخ من بلدتنا قنوج ماوراء نهر كنك ، قال السيد العلامة مير غلام علي آزاد البلجرامي ، قدس سره السامي ، في مآثر الكرام تاريخ بلجرام ، تحت ترجمة السيد قادري : ومن نبأثره (كذا) السيد محمد مرتضى بن السيد محمد بن السيد قادري ، حصل الكتب العربية ووفق في حادثة السن لزيارة الحرمين الشريفين في سنة ١١٦٤ » .

وهذا ليس بدليل على ولادته هناك . وليس بدليل على أن المقصود بذلك هو مرتضى الزبيدي ، مالم يكن قادري هو جد الزبيدي ، وليس لدى ما يقطع بذلك ، بل قد يكون هذا الذي تحدث عنه مير غلام اسم عالم آخر اتفق في أوائله مع الزبيدي ، وإنه ليقول : زار الحرمين الشريفين في سنة ١١٦٤ وما قدمته من لقاء الزبيدي لعلماء بالحجاز في مكة والمدينة والطائف ممتد من سنة ١١٦٣ إلى ١١٦٦ ، وأنه ليس بزيارة وحدها للحرمين ، وإنما هو للحضور على الأشياخ والتلقي عنهم .

وأيا ما تكن البلدة التي ولد فيها ، فإن الزبيدي تلقى كثيرا من الحديث واللغة والفقه بزبيد ، ففي تاريخ الجبرتي ج ١ ص ٢٨٩ عند ترجمة عبد الخالق المزجاجي قال : « وسمع عليه شيخنا السيد محمد مرتضى الصحيحين ، وسنن النسائي كله ، بقراءته عليه في عين الرضا ، موضع بالنخل خارج زبيد ، كان يمكث فيه في أيام خراف النخل ، والسكر والثمار ، كلاهما للنسفي ، ومسللات شيخه ابن عقيلة ، وهي خمس وأربعون مسلسلا ، وسمع عليه أيضا المسلسل بيوم العيد ، ولازم دروسه العامة والخاصة ، وألبسه الخرقة » .

وفي مقدمة الزبيدي نفسه للتاج يقول عن القاموس : « وحدثنا شيخنا الإمام الفقيه رضى الدين عبد الخالق بن أبي بكر الزين بن النمرى المزجاجي الزبيدي الحنفى وذلك بمدينة زبيد حرسها الله تعالى وبحضور جمع من العلماء بقراعتي عليه قدر الثلث وسماعى له فيما قرئ عليه في بعضه ... وأجازني به أيضا شيخى الفقيه أبو عبدالله محمد ابن الشيخ علاء الدين عبد الباقي المزجاجي عن والده عن أخيه عفيف الدين ... » .

وحينما صارت سنة حوالى الثامنة عشرة على الأكثر سافر إلى الحجاز ، ولقى عبدالله الميرغنى سنة ١١٦٣ . كما لقى شيخه القاسى ، ونص في مقدمته للتاج على ما يأتى « وأخبرنا شيخنا المحدث الأصولى اللغوى نادرة العصر أبو عبدالله محمد بن محمد بن موسى الشرفى القاسى نزيل طيبة طاب ثراه فيما قرئ عليه في مواضع منه وأنا أسمع ومناولة للكل سنة ١١٦٤ » .

وتلقى أيضا عن العيدروس بمكة . وتقدم النص الذى يدل على أنه لقي عبد الرحمن العيدروس بالطائف سنة ١١٦٦ . وهذا بعض ما يقوله الجبرتي عن الزبيدي في ترجمته له بالجزء الثانى ص ٢٠٨ وما بعدها .

« ونشأ ببلاده ، وأرتحل في طلب العلم ، وحج مرارا ، واجتمع بالشيخ عبدالله السندى ، والشيخ عمر بن

أحمد بن عقيل المكي ، وعبدالله السقاف ، والسند محمد بن علاء الدين المزجاجي ، وسليمان يحيى ، وابن الطيب ، واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة وبالشيوخ عبد الله ميرغني الطائفي في سنة ثلاث وستين ونزل بالطائف بعد ذهابه إلى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين ، فقرأ على الشيخ عبدالله في الفقه ، وكثيراً من مؤلفاته ، وأجازته ، وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية ، وألبسه الخرقة ، وأجازته بمروياته ومسموعاته ، قال : وهو الذي شوقني إلى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها ، وما فيها من المشاهد الكرام ، فاشتقت نفسي لرؤيتها ، وحضرت مع الركب ، وكان الذي كان .. »

ثم ورد إلى مصر في تاسع صفر ، سنة سبع وستين ومائة وألف ، وسكن بخان الصاغة ، وأول من عاشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفى من علماء مصر ، وحضر دروس أشياخ الوقت ، كالشيخ أحمد الملوى ، والجوهري ، والحفنى ، والبلیدی ، والصعيدى ، والمدابغى ، وغيرهم . ولم يكتف الزبيدي بشيوخ القاهرة بل رحل إلى العلماء في الصعيد والوجه البحرى ، كما رحل إلى فلسطين . فهو يقول في رسالة له إلى أحد شيوخه ، وهى مثبتة في كتاب أبجد العلوم .

« ثم الذى أخبركم مما منّ الله تعالى به علكى أنى حين وصولى إلى مصر افترصت المدة ، وانتهزت القعدة ، فأكبت على تحصيل العلوم ، وتكميل منظوقها والمفهوم ، وتشرفت بالسماع الصحيح على مسنديها الموجودين ، ورحلت إلى بيت المقدس ، فحطت بها جماعة مسندين ، وفى الرملة ، وثغرياًوا « يافا » ودمياط ورشيد ، والمحلة ، وسهنود « لعلها سمود » ، والمنصورة ، وأبوصير ، ودمهور ، وعدة من قرى مصر سمعت بها الحديث ورحلت إلى أسيوط وجرجا « كتبت جرجان » وفرشوط ، وسمعت فى كل منها .. وأدركت من شيوخ المغاربة جماعة مسندين بمصر وغيرها . »

ولقد اتجهت الأنظار إلى الزبيدي ، واشتقت إلى سماعه النفوس ، لما حواه من علم غزير ، واطلاع واسع ، فأذن له فى التدريس بالقاهرة ، يقول فى رسالته إلى أحد شيوخه « ثم أذن لى بالقاهرة فى درس الحديث ، فشرعت فى إلقاء صحيح البخارى فى مسجد شيخون بالصليبة . »

وسعى إلى استماع دروسه كثير من رجال الأزهري ، وصار يملئ على المستمعين بعد قراءة شيء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال ، وينسرد رجال سنده ورواته من حفظه ، ويتبعه بأبيات من الشعر ، فيتعجبون من ذلك .

وكان انتقل إلى منزل بسويقة اللالا في أوائل سنة ١١٨٩ فأقبل عليه الأكابر والأعيان ، ورغبوا فى معاشرته ، إذ كان لطيف الشكل والذات ، حسن الصفات ، بشوشاً بسوماً وقوراً محتشماً ، مستحضراً للنواذر والمناسبات ، ذكياً فطناً ، واسع الحفظ ، عارفاً باللغة الفارسية والتركية . وازدادت شهرته ، وأقبل الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته ، « ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة ، فيذهب إليهم ، مع خواص الطلبة والمقرئ والمستمل وكاتب الأسماء ، فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية ، كالثلاثيات البخارى أو الدارمى ، أو بعض المسلسلات ، بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده ، وبناته ونساؤه من خلف الستارة ، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يجتمعون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، على النسق المعتاد ، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسماعين ، حتى النساء والصبيان والبنات ، واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن السابق . »

وطار ذكره في الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحي وحكامها من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر وغيرها . وكثرت عليه الوفود من كل ناحية يستجيزونه فيجيزهم »

وأنته الهدايا والتحف من شتى الأنحاء ، وكان بدوره يرسل الطرف من هدايا كل إقليم إلى الإقليم الذي لا توجد فيه ، فيأتيه في مقابلها أضعافها .

وبلغ من علمه وتقواه أن اعتقد فيه كثيرون الولاية ، ومنهم من كان يعتقد فيه القطبانية العظمى .

ويقول الجبرتي عن دروسه « كنت مشاهدا وحاضرا في غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس آخر خاصة بمنزله ، وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأما كن آخر كنا نذهب إليها للنزهة ، مثل غيط المعديّة والأزبكية وغير ذلك . فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثة وغيرها . »

...

زواجه

يقول الدكتور الشيال في كتابه : « ولم يذكر هو ولم يذكر من ترجموا له شيئا عن الأسرة التي تزوج منها ، أو عن تاريخ زواجه » ورجّح الدكتور الشيال أن هذا الزواج تمّ حوالي سنة ١١٧٤ هـ مستنبطاً أن تأليف تاج العروس ما كان يستطيع أن يتم عمله الشاق إلا إذا كان يحيا حياة هادئة مستقرة ، أي بعد زواجه . ولم يعرف الدكتور الشيال عن زوجه إلا أن اسمها زبيدة ، وذلك لا شك من شعره الذي رثاها به .

أما تاريخ زواجه فالجبرتي يقول : « وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بأبي الفيض ، وذلك يوم الثلاثاء سابع شهر شعبان سنة ١١٨٢ ... ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال ، مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة . »

وإذا رجعنا إلى أواخر المواد في تاج العروس نجد أن آخر حرف الذال كان في ربيع الأول سنة ١١٨٢ بخان الصاغة .

أما حرف الراء فكان في رمضان سنة ١١٨٣ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الصاد كان في جمادى الأولى ١١٨٤ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الضاد في جمادى الآخرة ١١٨٤ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الطاء في رجب سنة ١١٨٤ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الظاء في شعبان سنة ١١٨٤ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الغين في ذي الحجة سنة ١١٨٤ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الكاف في ذي الحجة سنة ١١٨٥ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف اللام في شعبان ١١٨٦ بمنزله في عطفة الغسال .

وآخر حرف الهاء في جمادى سنة ١١٨٧ ولم يذكر سكنه ، ولا شك أنه في عطفة الغسال .

وآخر الكتاب في رجب سنة ١١٨٨ بمنزله في عطفة الغسال .

وإذن فزواجه في أواخر سنة ١١٨٢ بعد إنجاز حرف الذال في ربيع الأول سنة ١١٨٢ بخان الصاغة ، وبعد

تكنيته في شعبان سنة ١١٨٢ . وبعد طوافه في أرجاء مصر بالصعيد والوجه البحرى . وإثبات أن كل المواد بعد حرف الذال كان في عطفة الغسال يقطع بأن ما قاله الجبرتي . وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفاباى الفيض ... شعبان سنة ١١٨٢ ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال إنما كان تحديداً تقريباً لعام زواجه .

والرجل كان متجها قبل ذلك كل الاتجاه إلى التنقل وتحصيل العلم . واستقرار منهج تاج العروس الذى استغرق أوله منه زمنا كبيرا . فلما اطمأن ، واشتهر ، وظفر بالتقدير ، تزوج في أواخر سنة ١١٨٢ هجرية . ولعل لا أكون مخطئا إن شاء الله في هذا الاستنتاج .

أما زوجه فوجدت في أبجد العلوم شيئا عنها وهو أن اسمها زبيدة وأبوها ذو الفقار الدمياطى . كما كان له من الخدم فتى حبشى اسمه بلال ، وفتاتان حبشيتان اسمهما سعاد ورحمة .

ولقد كان الزيدى يحب هذه الزوجة جدا شديدا ، ولما توفيت في سنة ١١٩٦ هجرية حزن عليها حزنا كثيرا ودفنها عند مشهد السيدة رقية . وبنى على قبرها مقاما ومقصورة ، وزوده بالسائر والفرش والقناديل ، ولازم قبرها أياما طويلة ، يجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ، ويعمل لهم الأطعمة الطيبة ، ثم اشترى قطعة أرض مجاورة للقبر ، وبنى عليها منزلا صغيرا ، وأثته وأسكن به أمها ، وكان يبيت به أحيانا . ورثاها كثير من الشعراء ، فكان يجبرهم بالمال الوفير ، ورثاها هو بقصائد ومقطعات ، أورد منها الجبرتي في تاريخه عدة قصائد منها :

خَلِيلَتِي مَا لِلْأُنْسِ أَضْحَى مُقَطَّعًا	وَمَا لِفُؤَادِي لَا يَزَالُ مُرَوَّعًا
أَمِنْ غَيْرِ الدَّهْرِ الْمُسْتِ وَحَادِثِ	أَلَمْ يَرْحَلِي أَمْ تَذَكَّرْتُ مَصْرَعًا
وَلَا فِرَاقٍ مِنْ أَلِيفَةِ مُهْجَتِي	زُبَيْدَةَ ذَاتِ الْحُسْنِ وَالْفَضْلِ أَجْمَعًا
مَضَتْ فَمَضَتْ عَنِّي بِهَا كُلُّ لَذَّةٍ	تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَانْقَطَعًا مَعًا
لَقَدْ شَرِبْتُ كَأْسًا سَتَشْرِبُ كُلُّنَا	كَمَا شَرِبْتُ لَمْ يُجِدْ عَنِّي ذَاكَ مَدْفَعًا
فَمَنْ مُبْلَغُ صَحْبِي بِمَكَّةَ أَنِّي	بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِعَيْنِي مَدْمَعًا

ومنها :

زُبَيْدَةُ شُدَّتْ لِلرَّحِيلِ مَطِيئَهَا	غَدَاةَ الثَّلَاثَا فِي غَلَائِلِهَا الْخُضْرِ
وَطَافَتْ بِهَا الْأَمْلاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ	وَدُقَّ لَهَا طَبْلُ السَّمَاءِ بِلَا نُكْرِ
تَمِيسُ كَمَا مَاسَتْ عَرُوسٌ بِدَلَّهَا	وَتَخْطُرُ نَبْهًا فِي الْبَرَانِيسِ وَالْأُزْرِ
سَأَبْكِي عَلَيْهَا مَا حَيَّيْتُ وَإِنْ أُمْتُ	سَتَبْكِي عِظَامِي وَالْأَضَالِيعُ فِي الْقَبْرِ
وَلَسْتُ بِهَا مُسْتَبْقِيَا فَيَضُرَّ عَبْرَةً	وَلَا طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ

على أنه لم يخلف من هذه الزوجة أولادا .

ولا شك أن حياة النعيم والسعة ، وحياة مثله ممن يعنون بالعلم ويلزمون التقوى والعمل ، والرغبة في أن تكون له ذرية ترث كل هذه الثروة الضخمة من مال وتحف وكتب . كل هذا دعاه إلى الزواج مرة أخرى . ومع ذلك لم يرزق من الثانية أولادا . ومات عنها ، فاستولت مع أقاربها على معظم ما خلفه .

ففى عام ١٢٠٥ هجرية انتشر الطاعون ، فأصيب به بعد صلاة الجمعة ، فى مسجد الكردى المواجه لداره ، ودخل البيت ، واعتقل لسانه تلك الليلة . وتوفى يوم الأحد فى شعبان سنة ١٢٠٥ هـ . وكنتمت زوجه نبأ وفاته فى يومه ، وشغل أقاربها فى نقل ما خفّ حمله وغلا ثمنه ، بل كثيرا من أملاكه المنقولة ، حتى لا يستولى على أغلبه بيت المال . ولها قريب فى خدمة الحكام المماليك إذ ذاك ، ثم أعلنت موته يوم الاثنين ، فخرجوا بجنازته ، وصلّوا عليه ، ودفن بقبر أعدّه لنفسه بجانب زوجه الاولى بالمشهد المعروف بالسيدة رقية . ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم . ولم يرثه أحد من الشعراء ، لاشتغال الناس بأمر الطاعون ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها .

...

ومن أهم ما شرحه الزبيدى كتاب الإحياء للغزالي ، شرع فيه سنة ١١٩٠ هجرية وانتهى منه فى سنة ١٢٠١ . وقد قال فى ختام الجزء الأول منه إنه أنهاه فى يوم الجمعة بعد الصلاة ، لحمس بقين من محرم الحرام ، افتتاح سنة ثلاث وتسعين ومائه وألف ، على يد مؤلفه أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى . وقال فى ختامه : « وكانت مدة إملائه مع شواغل الدهر وإيلائه أحد عشر عاما إلا أياما ، آخرها فى الخامسة من نهار الأحد خامس جمادى الثانية ، من شهور سنة إحدى بعد المائتين وألف من هجرة من له العز والشرف ، وذلك بمنزلى فى سوق لالا ، بمدينة مصر ، حرسها الله تعالى وسائر بلاد الإسلام » .

وهذا الشرح طبع فى المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١١ هـ . فى عشر مجلدات كبيرة وجعل عنوانه « إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » .

ويبدو أنه بعد أن قطع مرحلة كبيرة فى شرحه لكتاب الإحياء وانشغاله به ، جعله ذلك يزهد فى الدنيا ، وينقطع عن الناس ، على أن سلطان المغرب فى وقته لم يكن من أنصار الاشتغال بكتب التصوف . يقول الجبرقى عن الزبيدى :

« ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة ، وبُعِدَ الصيت ، وعظم القدر ، والجاء عند الخاص والعام ، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية ، لزم داره ، واحتجب عن أصحابه الذين كان يُلمُّ بهم قبل ذلك إلا فى النادر لغرض من الأغراض ، وترك الدروس والإقراء ، واعتكف بداخل الحريم ، وأغلق الباب ، ورد الهدايا التى تأتته من أكابر المصريين ظاهرة واتفق أن مولاي محمد سلطان المغرب ، رحمه الله ، وصله بصلوات قبل انجماعه الأخير وترهده ، وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء ، فأرسل له فى سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر ، فردّها وتورّع عن قبولها ، وضاعت ولم ترجع إلى السلطان ، وعلم السلطان ذلك من جوابه ، فأرسل إليه مكتوبا قرأته وكان عندي ثم ضاع فى الأوراق ، ومضمونه العتاب والتوبيخ فى ردّ الصلة ، ويقول له إنك رددت الصلة التى أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين ، ولينك حيث تورّعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين ، فيكون لنا ولك أجر ذلك ، إلا أنك رددتها وضاعت . ويلومه أيضا على شرحه كتاب الإحياء ويقول له : كان ينبغي أن تشغل وقتك بشئ نافع غير ذلك . ويذكر وجه لومه له فى ذلك وما قاله العلماء ، وكلاما معجبا مختصرا مفيدا ، رحمه الله تعالى » .

أما صفة الزبيدى فيقول عنها الجبرقى :

« وكانت صفته ربعة ، نحيف البدن ، ذهبى اللون ، متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية ، قد وخطه الشيب

في أكثرها . مترفها في ملبسه . ويعتَمَّ مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراريب حرير ، طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل على العمامة وبعض أطرافه ظاهر » ، ولا يفوتني أن أقول إن الكتاني في كتابه فهرس الفهارس قال عن الزبيدي « وقد ترجمه ترجمة طنانة تلميذه الجبرتي في تاريخه ، لكنه ما سلم من حسده . »

والحق أن الجبرتي ما أساء إلى شيخه الزبيدي وما حسده ، ومقدمته في ترجمته حافلة بالمديح والتقدير . إذ يقول : مات شيخنا علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالأفهام ، الذي جاب في اللغة والحديث كل فجّ ، وخاض من العلم كل لُجّ ، المذلل له سبل الكلام ، الشاهد له الورق والأقلام ، ذو المعرفة والمعروف ، وهو العلم الموصوف ، العمدة الفهامة ، والرحلة النسابة ، الفقيه المحدث ، اللغوي النحوي الأصولي الناظم النائر الشيخ أبو الفيض »

وفي كل مناسبة في تراجمه للرجال يذكره ويثني عليه ويقول : قال شيخنا .

ولكن الجبرتي مؤرخ ، ويقتضيه واجب الإنصاف أن يذكر ما للإنسان وما عليه . وموضع شبهة الكتاني في هذا الحسد أن الجبرتي أشار إلى اعتقاد الناس في الزبيدي القطبانية ، ولمسح إلى بعض أسبابها عندما ذكر المغاربة الذين كانوا يحجون ويوزرونه ، وأشار الجبرتي إلى أن الزبيدي ذكر في مكتوب لأحمد بك الجزار أنه المهدي المنتظر ، كما نقل بعض لوم سلطان المغرب للزبيدي على شرحه لكتاب الإحياء .

ويبدو أن هذا كله أو بعضه هو الذي جعل الكتاني تأخذه الحميّة فقال ما قال .

وهذا نص الجبرتي الخاص باعتقاد القطبانية .

« وربما اعتقلوا فيه القطبانية العظمى ، حتى إن أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجّه كاملاً ، فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه . ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة ، فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده ، فيقول : فلان من بلدة كذا . فلا يخلو إما أنه يكون عرفه من غيره سابقا أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له : فلان طيب ؟ فيقول : نعم سيدي ، ثم يسأله عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته وابته ، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها ، فيقوم ذلك المغربي ويقعد ، ويقبل الأرض تارة ، ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح ، فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على باب من الصباح إلى الغروب ، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئا ، إما موزنات فضة ، أو تمرا ، أو شمعا ، على قدر فقره وغناه ، وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة ، فمن ظفر منهم بقطعة ورق ولو بمقدار الأتملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ، ويرى أنه قد قبِل حجّه ، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجّه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته إلى يوم مياعده ، وقس على ذلك ما لم يقل »

إن الجبرتي يحلّل النفسيات ، ويشير إلى أسباب المعتقدات ، ولا لوم على الزبيدي في أنه كان ذكيا ألميا متحسبا إلى الناس ، حريصا على ألفتهم ، حافظا لأسمائهم .

بقي بعد هذا أن أقول : إن الكتاني في كتابه فهرس الفهارس عني كل العناية بالزبيدي ومؤلفاته وشيوخه ، وأثبت لنا كثيرا من النصوص النادرة ، فجزاه الله أحسن الجزاء . وأنقل عنه ما يأتي :

كان نقش خاتم المرتضى الذي كان يطبع به إجازاته ومكاتبه بيت شعر نصه :

مُحَمَّدُ الْمُرتَضَى يَرْجُو الأمانَ غداً بِجَدَّةٍ وَهُوَ أَوْفَى الخَلْقِ بالذَّمِّ

رجاء

وإنا نرجو من كل عالم باللغة والتراث العربى أن يوافينا بما يبدو له . فلعلنا نكون قد نسينا أو أخطأنا ، والكتاب أجزاء متتابعة ، فما كان توجيهه صواباً ألحقناه فيما يتلوه ، وما كان رأياً شخصياً أجللناه بحله من الاعتبار ، مع الشكر في الحالين .

والله الموفق للخير ، والهادى إلى الصراط المستقيم :

عبد الستار احمد فراج
رئيس التحرير بمجمع اللغة العربية

١٣٨٥ هجرية

١٩٦٥ ميلادية